جامعة دمياط

كلية التربية

الفرقة الثالثة – خاصة – لغة عربية

مقرر: قراءات أدبية

(قراءة في لامية العجم للطغرائي)

تنبيه:

هذه المحاضرة إرشادية يتم التركيز فيها على النقاط الأساسية

بعض الأمثلة يتم الإشارة إليها في الكتاب مع رقم الصفحة

قراءة في أبيات من لامية العجم للطغرائي•

(البسيط)

١ أعدى عدوِّكَ أدنى من وَثِقْتَ به ** فحاذرِ الناسَ واصحبهمْ على دَخَلِ

٢ وإنّما رجلُ الدُّنيا وواحِدُها ** من لا يعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ

٣ وحسنُ ظَنِّكَ بالأيام مَعْجَزَةٌ ** فظُنَّ شَرّاً وكُنْ منها على وَجَلِ

٤ غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ ** مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعَمَلِ

٥ وشانَ صدقَك عند الناس كِذبُهمُ ** وهل يُطابَقُ معوَجٌّ بمعتَدِلِ

• **شرح الأبيات مأخوذ من** : شرح لامية العجم (وهو مختصر شرح الصفدي المسمى الغيث المسجم): كمال الدين محمد ابن موسى بن عيسى الدَّمِيري ت ٨٠٨هـ، تحقيق. جميل عبد الله عويضة، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م، ص ١١٣-١٢٤.

٦ يا وارداً سؤْرَ عيشٍ كلُّه كَدَرٌ ** أنفقتَ عُمرَكَ في أيامِكَ الأُوَلِ

٧ فيمَ اعتراضُكَ لُجَّ البحرِ تركَبُهُ ** وأنتَ تكفيك منه مصّةُ الوَشَلِ

٨ مُلْكُ القناعةِ لا يُخْشَى عليه ولا ** يُحتاجُ فيه إلى الأنصار والخَوَلِ

٩ ترجو البَقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ لها ** فهل سَمِعْتَ بظلٍّ غيرِ منتقلِ

١٠ قد رشَّحوك لأمرٍ إنْ فطِنتَ لهُ ** فاربأْ بنفسكَ أن ترعى مع الهَمَلِ

(١) أشد عداوة لك رجل وثقت به، فخذ حذرك من الناس، واصحبهم بالخديعة، والمكر، ولا تركن إلى أحد ممن وثقت، أو ظننت أنه صديقك، إنه أشد عداوة لك من كل عدو، وروى الشارح بسنده عن المزي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشْرَهُ ولا خُلُقَه. وعن ربيعة بن ماجد: قيل لمعاوية بن أبي سفيان: ما بلغ من عقلك؟ قال: ما وَثِقْتُ بأحدٍ قطّ. ولله در القائل: (من السريع)

من أحسن الظن بأعدائه تجرع الهم بلا كاس

وكان ينبغي لهذا الناظم أن يقول بأحبابه بدل بأعدائه، يقال: كان رجل في عهد كسرى يقول: مَنْ يشتري ثلاث كلمات بألف دينار، فكل من سمعه سخر به إلى أنْ اتّصل بكسرى، فقال: ما هنّ، فقال: ليس في الناس كلهم خير، قال: صدقت، قال: ثم ماذا، قال: ولا بدّ منهم، قال: صدقت، ثم ماذا، قال: فألبسهم على قدر ذلك، قال كسرى: قد استوجبت المال فخذه.

قال أبو العلاء المعري : (من البسيط)

جَرّبْتُ دَهْري وأهلِيه فما تَرَكتْ ليَ التّجارِبُ في وُدّ امرِئٍ غَرَضا

وقال أيضا: (من الوافر)

فظُنّ بسائِرِ الإخْوانِ شَرّاً ولا تأمَنْ على سِرٍّ فُؤادا

فلو خَبَرَتْهُمُ الجَوزاءُ خُبْري لَما طَلَعَتْ مَخافَةَ أن تُكادا

فأيّ النّاسِ أجْعَلُهُ صَديقا وأيّ الأرضِ أسْلُكُهُ ارْتِيادا

وقال ابن الرومي: (من الوافر)

عدوُّكَ من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنَّ من الصِّحابَ

فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ يكونُ من الطعام أو الشرابِ

وقال مجير الدين محمد بن تميم: (من الكامل)

من كان يرغبُ في حياةِ فؤادِهَ وصفائِه فليناً عن هذا الوَرى

فالماء يصفو إن نأى فإذا دنا منهم تغيَّر لونُهُ وتَكَدَّرا

وقال أبو الطيب : (من البسيط)

كَلامُ أَكثَرِ مَن تَلقى وَمَنظَرُهُ مِمّا يَشُقُّ عَلى الآذانِ وَالحَدَقِ

وقال أيضا: (من الطويل)

وَمِن نَكَدِ الدُنيا عَلى الحُرِّ أَن يَرى عَدُوّاً لَهُ ما مِن صَداقَتِهِ بُدُّ

وقيل: إنّ المتنبي لما ادّعى النبوة قيل له: ما معجزتك؟ قال: قولي: ومن نكد الدنيا .... البيت، وأمَّا المعري فإنه سلّى نفسه بالعمى بقوله: (مجزوء البسيط)

قالوا العَمى مَنظَرٌ قَبيحٌ قُلت بِفَقدانكم يَهونُ

واللَهِ ما في الوجودِ حُرٌّ تَأَسى عَلى فَقدِهِ العُيونُ

(٢) ما أرى رجل الدنيا وواحدها، الذي تفرد فيها بالحزم، ولم يكن له فيها ثان إلاّ رجل ساء ظنه بالناس وبحبهم، فلم يعوِّل في دنياه على رجل، يريد أنّ الرجولية لا تنحصر إلاّ فيمن

اتّصف بهذه الصفة، وأضاف الرجل إلى الدنيا بمعنى أنّه إنْ لم يكن كذلك لم يكن للدنيا رجل، وإن كان كذلك، ام يكن لها رجل غيره، ومن كلام ابن سناء الملك: إياك أنْ تغترَّ بخلب لسان، أو تثق بقلب إنسان، أو تركن إلى صداقة صديق، أو تأمن من شقاق شقيق، أو يروقك ملقى ملق، وعليك بالاحتراس من أبناء جنسك، والاحتراز حتى من نفسك، فما الناس بالناس الذين عهدتهم، ولا الدهر بالدهر الذي كنت تعرف، وقال بعضهم: (من الوافر)

تَحَفَّظْ مِنْ ثِيَابِكَ ثُمَّ صُنْهَا وَإلاَّ سَوْفَ تَلْبُسُهَا حِدَادَا

وَمَيِّزْ عَنْ زَمانِكَ كُلَّ حِيْنٍ وَنَافِرِ أَهْلَهُ تَسُدِ العِبَادَا

وَظُنَّ بِسَائِرِ الأَجْنَاسِ خَيْراً وَأَمَّا جِنْسُ آدَمَ فَالبِعَادَا

أَرَادُونِي بِجَمْعِهُمُ فَرُدُّوا عَلَى الأَعْقَابِ قَدْ نَكَصُوا فُرَادَى

وَعَادوا بَعْدَ ذَا إِخْوَانَ صِدْقٍ كَبَعْضِ عَقَارِبٍ عَادَتْ جَرَادَا

(**٣**) حسن ظنك أن في الأيام خيرا معجزة منك، لأنك لم تخبر الأيام، ولا أهلها، ولا جربتهما لتعلم ما هما عليه، وهذا عجز ظاهر، وهو أن يصحب الإنسان غيره مدة العمر، وهو به جاهل، والحزم أن تظن الشر بالأيام، وتكزن منها على وجل، فلا تأمن إليها، وقال الرشيد أو المأمون: لو وصفت الدنيا نفسها ما زادت على قول أبي نواس: (من الطويل)

إذا امتَحَنَ الدُنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَت لَهُ عَن عَدوٍّ في ثِيابِ صَديقِ

وقال الغزي : (من البسيط)

كالشمع يبكي ولا يدري أعبرته من صحبة النار أو من فرقة العسل

(**٤**) إنّ الوفاء نقص، أو غاب، أو ذهب من بين الناس، والغدر اشتهر وشاع وذاع، واتّسعت مسافته بين القول والفعل في الوعود، أخذ يوضح الدلالة على عدم حسن الظن بالأيام، ويحقق ما ادَّعاه من الحزم في ذلك، وأنّ الإنسان لا يعول على أحد؛ لأن الوفاء ذهب، والغدر ظهر، والخلف في الوعد زاد وهذه موجبات تقتضي التأدّب بما وعظ، والأخذ

بما أمر، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لكل غادر لواء يوم القيامة، وفي رواية لواء عند رأسه يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان، قال النووي رحمه الله: في هذا تغليظ الغدر، لا سيما من صاحب الولاية العامة؛ لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق، كذا بخط المصنف، ولعله خلق الله.

يقال: إنّ أعرق الناس بالغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس، غدرَ عبد الرحمن بالحجاج بن يوسف الثقفي، وغدر محمد بن الأشعث بأهل طبرستان، وغدر الأشعث ببني الحارث، وخلائق كثير، وأخذ ابن قلاقس قول الطغرائي، فقال: (من مجزوء الكامل)

غاضَ الوفاءُ وفاضَ ما ءُ الغَدْرِ أنهاراً وغُدرا

وتطابقَ الأقوامُ في أقوالهم سرّاً وجَهْرا

فانظر بعينكَ هل ترى عُرْفاً وليس تراهُ نُكْرا

وقال أيضاً: (من الكامل)

وبنو الزمان وإن صَفوا لكَ ظاهراً يوماً طووا لكَ باطناً ممذُوقا

دوحٌ تمرُّ لك الجنى أثمارَهُ ولقد تمرُّ به الرياحُ وريقا

وقال آخر: (من الوافر)

ومنْ يكُ أصلهُ ماء وطيناً بعيدٌ من جِبلَّتهِ الصفاءُ

وقال السراج الوراق: (من الوافر)

وكانَ الناسُ إنْ مُدِحوا أَثابوا ولِلكرماءِ بالمدحِ افتخارُ

وكانَ العُذْرُ في وقتٍ ووقتٍ فصرنا لا عطاْ ولا اعتذارُ

(٥) وشان كذب الناس صدقك عندهم؛ لأنك تلبست بما لم يتلبسوا به، وخالفتهم في أخلاقهم، وأنت وهم في طرفي نقيض، ثم أخذ يستفهمه، ثم قال: هل يطابق المعوج بالمستقيم، فالمعوج الناس، والمعتدل أنت، وهذا عند أهل البديع يسمى حسن التعليل، لأنه

علل شيئين صدقه، وكذب الناس، ثم قال: وهل يطابق المعوج، وهو الكذب، بالمعتدل، وهو الصدق.

واعلم أنّ الناظم ما وقعت له كمال المطابقة؛ لأن المعوج إنما يُطابق بالمستقيم، وقد اتفق له ما اتفق لأبي الطيب في قوله: (من الوافر)

رَأَيتُكَ في الَّذينَ أَرى مُلوكاً كَأَنَّكَ مُستَقيمٌ في مُحالِ

فَإِن تَفُقِ الأَنامَ وَأَنتَ مِنهُم فَإِنَّ المِسكَ بَعضُ دَمِ الغَزالِ

حكي أنه قيل لأبي الطيب هذا الإيراد وهو في المجلس من أنّ المحال لا يطابق الاستقامة، ولكن لو خرج: كأنك مستقيم في اعوجاج، ما كنت تصنع في البيت الثاني، فقال: كنت أقول: فإن البيض بعض دم الدجاج، فاستحسن منه سرعة الجواب.

تطبيقات:

اكتب الأبيات الثلاثة الأولى من لامية العجم مضبوطة، ثم قدم تحليلاً وافياً لها.